الإرهاب: أسئلةٌ تنتظر إجابات..

الإرهابُ في صورته التي لا خلاف عليها: القتلُ العشوائيّ، وترويع الآمنين، وتخريب الممتلكات الخاصّة والعامّة بغير حَقّ، وَبَاءٌ آخذٌ في الانتشار والاستقواء في إفريقيا، بما يحمله من كوارث على المستويات كافّة. وباءٌ يتضرّرُ منه الجميع؛ حكومات ومجتمعات، مما يُحَتّمُ عليهم جميعاً الاصطفافَ والمبادرةَ مُسرعين؛ لوقف انتشاره واستئصاله من البيئة الإفريقية.

فهل حدث ذلك؟

إنّ النظر في واقع الإرهاب في إفريقيا، من حيث تنوّع مكوّناته ومسمّياته، وخارطة وُجُوده وانتشاره، ومن حيث تعامل دولها معه ومعالجته، يثيرُ عدداً من الملاحظات والتساؤلات، تتعلّق بفَهْم هذه المشكلة وتحليلها، ومن ثَمّ التعامل معها ومعالجتها.

فعلى مستوى فَهْم المشكلة وتحليلها:

هل الإرهابُ- بأنواعه- هو نتاجٌ طبيعيٌّ للبيئة الإفريقية، ومتّسقٌ مع طبيعة الإنسان الإفريقيّ وتكوينه الثقافيّ والاجتماعي؟ أو هو نتيجةٌ للعولمة، ومنها عولمة الصّراعات والأفكار؟

ما علاقتُه بالصّراع والمنافسة الإقليميّة والدولية؛ وتطوّر نظريّات الحرب؛ من الحروب المباشرة، إلى الحروب الباردة، وبالوكالة، والفوضَى الخلّاقة..؟

وما علاقةُ الإرهاب، وبخاصّة العابرُ للقارات، بأساليب وآليات الاستغلال والسيطرة؟

هل الإرهابُ مشكلةٌ مركّبة؟ أو بسيطة؟ وإذا كان مشكلةً مركّبةً- وهو كذلك- فهل هناك فَرْزٌ وتمييزٌ بين الأسباب المؤسّسة، والأسباب المُغذّية؟

هل تَمّ استقراءُ بؤر الإرهاب؛ ومواطن حركته.. ودلالة ذلك؟

لماذا يوجد هنا ولا يوجد هناك؛ برغم تقارب الأسباب الظاهرية؟ هل لذلك علاقة بالصّراعات الداخلية والإقليمية أو الدولية أو المطامع الشخصية؟ أو بالثروات ومصادر الطاقة؟ أو بالموقع والجغرافيا؟[1] أو بالتأثّر والتأثير الثقافيّ والدّينيّ في الإقليم؟ أو...؟

فمثلاً: لماذا لا يوجد حضورٌ أو عملياتٌ لـ«داعش أو القاعدة» في إريتريا، برغم قربها من الصومال، بالنظر إلى استيلاء الأقليّة النصرانيّة على الحكم، وتعاملها مع الأكثريّة المُسلمة بديكتاتوريّة وقَمْع أدّى إلى هجْرَة نَحْوَ ثُلُثي الشعب؟ ومع ذلك تنشطُ (داعش أو القاعدة) بقوّة في بلدان ذات أكثرية مُسلمة، ويتمتّع المُسلمون فيها بكثيرٍ من الحقوق، وبحُرّيّة كبيرة في الدعوة- كما في غرب إفريقيا-؟

ولماذا تشهدُ إثيوبيا استقراراً- نسبيّاً- مع تنوّع قومياتها وديناتها، وكون الحكم بيد القومية «التيغرية» وهُم أقليّة؟ بعكس جارتها الصومال، والتي تكاد تَكُون شبهَ موحّدة في عرقيّتها ودينها ومذهبها؟

ولماذا يُرفع في مكانٍ شعارات دينية، وفي آخر شعارات قومية، وفي ثالث مطالب انفصالية؟

هل هناك استقراء ومقارنة بين منهج وأدبيات الجماعات التي تتبنّى العنف والإرهاب- سواء المحلية أو الدولية-، وبين الأعمال التي تقوم بها، وهل بينها اتساقٌ وتكامل؟ أو تناقضٌ واختلاف؟ وما سببُ ذلك الاختلاف- إنْ وُجد-؟

لماذا تُسلّط الأضواءُ ويتمّ التركيزُ على نوعٍ من الإرهاب دون آخر؟ أين الحديثُ عن «جيش الربّ» وميليشيا «أنتي بلاكا»- مثلاً-؟

المستفيدُ- دولاً أو جهات أو أفراداً- من بقاء نار الإرهاب مشتعلة، لا شكّ أنه يُغذّيها بين الحين والآخر لئلا تنطفئ فتذهب مكاسبُه، فَمَن المستفيد من الإرهاب؟ مع ملاحظة أنّ كثيراً ممن ينتهجون العنف لم يحقّقوا شيئاً يُذكر من مطالبهم وأهدافهم!

هل هناك استفادةٌ وتوظيفٌ لوثائق التحقيقات ونتائجها التي أُجريت في أعمال إرهابية سابقة، مثل «مجزرة رواندا» و«الصراع في سيراليون»، لفَهْم طبيعة الإرهاب؛ وتداخل الصّراع الدولي، وصراع النفوذ، والدافع الاقتصادي، مع المكوّنات الداخلية والمطامع الشخصية؟

ما دَوْرُ الأسباب الداخلية وحجمها، مثل الظلم والفساد، والاستئثار بالسلطة والثروة، والتهميش والتجهيل، والتمييز والتفرقة بين مكوّنات المجتمع، وإهمال التنمية، وهشاشة الدولة و...؟

وأيُّهم أكثر تأثيراً في وجود الإرهاب أو انتشاره، الأسباب الداخلية أم الخارجية؟ وهل هذا متّسقٌ في كلّ مناطق الصّراع وبؤر العنف؟ أو بينها تفاوت؟

ماذا عن مصادر التمويل؟ وطرائق الاتصال والتواصل وآلياتها؟

---

(١) تشابُك وتداخلُ مصالح متنوّعة: هو أحد أسباب استمرار مأساة الصومال، كما تُبيّنه مقالة: لماذا لم يتمّ القضاء على جماعة «حركة الشباب» حتى اليوم؟، مترجم في موقع (قراءات إفريقية) goo.gl/6qTNZ9.

مـا علاقة مافيـا الجريمة الدوليـة (المخدّرات- الاتّجـار بالبشر والسّلاح والممنوعات...) بالمشكلة، وما دَوْرُها فيها؟

وعلى مستوى التعامل مع مشكلة الإرهاب ومعالجتها:

بدايـةً؛ هناك ثلاثةُ مستويات متوازنة للتعامل مع الأوبئة والكوارث: معالجـة المصابين واستنقاذهم- محاصـرة الوباء في أضيق نطاق لئلا ينتشر- تحصين الآخرين من الإصابة به.. فهل هذا ما يحدث في معالجة وبـاء الإرهـاب؟ أو أنّ التركيزَ منصبٌّ على معالجـة المُصابين به؟ وهي معالجةٌ تُعطي- في الغالب- نتيجةً عكسية؛ لأنها تستخدم- فقط- الحلّ العسكريّ والقبضة الأمنية؛ دونَ المعالجة الفكرية والسياسية والتنموية. استخـدامُ الحـلّ الأمنيّ، بوصفه حـلاً وحيداً أو رئيساً، هـل تمّ بناءً على تدقيـق للمشكلة، وفرز سليم لكلّ خيـارات المعالجة، وفق معايير سليمة؟ أو تـمّ اختياره لأسبابٍ أخرى تتعلق بالقـوى الداخلية أو الخارجية؟ أو هو نـوعٌ من الهروب إلى الأمـام، وكونه أسهل من الحلـول الجذريّة المتعلّقة بالإصلاح ودولة القانون والحقوق والمشاركة والتنمية؟

لمـاذا- فـي الأغلب- يكـون التوجُّهُ نحو الحـلّ الأمنيّ نتيجـةَ طلب أو اقتراح خارجي؟ وتتبنّاه وتشارك فيه قوى لها مصالح أو مطامع في المنطقة؟ بل يظهر التنافس في تشكيل أكثر من حلف في مناطق متقاربة أو متداخلة؟

أيـن الحلُّ والتنسيـقُ الإقليمـيُّ والقاري، علـى مستـوى مؤسّساته السياسيـة والعسكرية والعلمية، وإيجاد المؤسّسـات والآليات المناسبة؟ أَوَلَيْس أهلُ مكّة أدرى بشعابها؟!

مـا نتائجُ استخـدام الحـلّ الأمني؟ هـل المشكلةُ في انحسارٍ واضمحلال، أو في ازديادٍ وتوسّع؟[1]

وكذلـك مـا جـدوى الوجـود العسكـريّ الأجنبـي؟ وهل هـو عامل استقرار أو استفزاز؟

كيـف تتمكّن جماعـاتُ العنف والقتال من الانتقـال بين الدول وشنّ الغـارات، ومن ثَـمّ الرجوع بأسلحتهـا وغنائمها لمعاقلهـا البعيدة، برغم انتشار القواعد الأجنبية، وتوفّر أحدث أجهزة الاتصال والرّصد والرقابة؟

ما مدى تأثيـر الحلّ الأمنيّ في تقويـة تأثير الأسباب الأخـرى، مثل عَسْكـرة الدولـة، وإهمال التنميـة والفقر، وإحياء النّعـرات والعصبيّات بأنواعها و...؟ ما مدى قبول المجتمعات للحلّ الأمنيّ، وقناعتهم به، وتفاعلهم معه[2]؟

الإرهـابُ مشكلةٌ عالميـة، عانت منه كثيرٌ من الـدول، وهناك دولٌ نَجَحَت فـي معالجته، وأخرى أخفقت، فهل هنـاك دراسةٌ لتلك التجارب للاستفادة منها؟

ما دَوْرُ الإرادة الإقليمية والدولية، والإرادة الداخلية المحلية، ولمن التأثيـر والغلبة، في تحجيم الإرهاب وتجاوز أضراره؟ خرجت رواندا من أكبـر مذبحة في إفريقيا؛ تسابق في ميـدان التنمية والرفاهية، ولا تزال الصومالُ تعاني من الاقتتال والانقسام منذ أكثر من ربع قرن!

خطـرُ الإرهـاب وضـررُه لا يقتصـر علـى الدولـة وقياداتهـا، بـل يشمـل المجتمـعَ ومؤسّساته وأفـرادَه وقِيَمَه ومكتسباته، فلمـاذا تستأثر كثيـرٌ من الحكومـات بالتعامل معه والانفراد بمعالجتـه، ولا تُشرك معها بقية مكوّنـات المجتمع وقياداتـه؟! ولماذا تأخرت القيـاداتُ المجتمعية والمؤسّسات العلمية والفكرية في المشاركة في المعالجة؟

إنهـا نمـاذجُ لملاحظـات وأسئلـة مشروعـة، طَرَحَهـا الكثيرُ من المهتمّين والمتابعين، ينبغي أن تُوضع فوق طاولة التشريح، وتحت مِجْهَر الفَحْـص والبحث العلمـيّ بأدواته التحليليـة والاستقرائية والموضوعية، من أجل فَهْم سليم وعلاج ناجع لهذا الوباء.

ونَحْـنُ في مَجلة «قراءات إفريقية»، نفتـحُ البابَ لنَشْر كلّ مساهمة مؤثّـرة، ونسعـد أن نكـون منبـراً يُقـدِّم من خلالـه العلمـاءُ والمفكرون مشاركاتهم في محاربة هذا الداء.

إنّ المُنتظر من القـوى والنُّخب والمؤسّسات المجتمعية؛ المبادرة، دون انتظـار، للمشاركة في وضع الحلـول، وتقويم عمل الحكومات، وعلى أصحـاب القرار أن يمُدُّوا أيديَهم؛ ويُفسحُـوا المجالَ لكلّ القوى الوطنية لتشارك معهم، فالكلّ في مَرْكب واحد، إنْ غَرِقَ غَرِقَ الجميع.

إنّ دَرْء خطـر الإرهاب، والسّلامة من أضراره، تتحقّق- بإذن الله، وبعـد الاستعانة بـه سبحانه- من خـلال فَهْم صحيح متكامـل لمسبّباته ومكوّناته، وإرادة صادقة مستقلّة- عن مصالحِ القوى الإقليمية والدولية- بمشاركة حقيقيّةٍ من كلّ مكوّنات المجتمع؛ كلٌ بحسب تخصّصه وموقعه.

إنّ التعامـلَ الجزئيّ في الفَهْـم والمعالجة والتنفيذ؛ لن يقضيَ على الإرهـاب، بل سَيُسهم بطريقـة أو أخرى في انتشاره وتكاثره، لأنّ القضاءَ على الإرهاب مسؤوليةُ الجميع ■

(١) في القرن الإفريقيّ كان هناك القليلُ جدّاً من البحوث الاجتماعية الموضوعية في محرّكات التطرّف وأسبابه، فالدراستان الجادتان حتى الآن، التي تمّ فيهما بالفعل إجراءُ مقابلات مع مقاتلي «حركة الشباب» السابقين في الصومال وكينيا، أجراهما معهد بريتوريا للدراسات الأمنية، وفي كلتا الحالتَيْن كانت النتيجةُ واضحةً: أغلبية المقاتلين في «الشباب» يقولون بأنهم انضمّوا إلى الجماعة المتطرّفة بعد أن عانوا معاملةً وحشيةً على يد قوات الأمن. المرجع السابق.

(٢) يُنظر مقال: ما الجدوى من تواجد القوى الأجنبية في ظلّ تصاعد الإرهاب في منطقة الساحل؟، مترجم في موقع (قراءات إفريقية) goo.gl/zVUwRr.